الفرقة القومية

ما هي الوسائل لاصلاح المسرح .

هل من عقاب أشد وقعاً على النفس من تركك شخصاً وشأنه في المجتمع لا يأبه له أحد ولا يلتفت إليه ملتفت خصوصاً إذا كان له خطره الأدبي والاجتماعي ؟

هكذا ترك الأدباء الفرقة القومية وانصرفوا عنها لا يلتفتون إليها .

فلولا كتابة مأجورة تنشرها الفرقة في بعض الصحف الأسبوعية ، ولولا إعلانات عن أربع أو خمس روايات تمثل في الفصل ، لكانت هذه الفرقة التي استنفدت من مال الأمة ستين ألفاً من الجنيهات أشبه بحلم يتبخر في اليقظة ، أو بعابر سبيل لا يلتفت إليه أحد

ولما كانت غايتنا المحافظة على هذه المؤسسة الثقافية ، واستنهاض بقايا الهمة الباقية في القائمين عليها ، عمدنا أولاً للتنبيه إلى الغرض الخبيث الذي ترمي إليه إدارة الفرقة من إغضاب النقاد واستغلال انصراف الصحافة وصدوف الأدباء عنها ليقبع رجالها الأفاضل كالتماسيح المبشومة يهضمون الغنيمة على مهل ، وثانياً إلى استفتاء أدبائنا أصحاب الدراية في فن الرواية والمسرح فيما يجب عمله لإنقاذ هذه المؤسسة العزيزة على الأدباء

بدأنا بسؤال كبار الأدباء كالعقاد والمازني وغيرهما ، ولهؤلاء الأساتذة الأجلاء رأي مجمل نرجئه إلى ما بعد ، ثم سألنا الأستاذ زكي طليمات عن وسائل إصلاح المسرح ، وللأستاذ طليمات دراية نظرية وعملية لا ينكرها عليه سوى المتعنت صاحب الغرض ، فأجاب :

يتكون المسرح من ثلاثة عناصر : رواية ، وممثل ، وجمهور . فإذا نشدنا الإصلاح للمسرح وجب أن نقوم بإصلاح هذه العناصر الثلاثة ، بعد أن نتبين ما هي عليه الآن ، وما كانت عليه بالأمس ، وما يجب أن تكون عليه في المستقبل

الرواية : أقامت وزارة المعارف مباريات لتأليف المسرحية المصرية بقصد ترقيتها ورفع شأن التمثيل ، فكان أن حظي المسرح ببعض روايات جيدة ، إلا أنها لم تسم بكثير عما كان شائعاً إخراجه على المسارح ولم تسفر عن المخرج الحق المرجو الذي بيده وضع طابع أصيل للمسرحية ، والذي يرجى منه خلق مدرسة جديدة في التأليف ، وعليه فإني أعتقد أن إقامة المباريات وسيلة تكميلية أهم منها حث الفرق العاملة على إخراج أكثر عدد من المسرحيات المصرية ، وذلك بتنشيط الأفلام ، وحفز النابهين من المؤلفين على الإكثار من نتاجهم ، لأن المؤلف إذا لم يجد سوقاً لرواياته تولاه اليأس وأمسك عن الكتابة . وأرى من واجب الفرقة أن تضطلع بمهمة تقديم المسرحيات المصرية قبل أية مهمة أخرى ، فإذا انحرفت عن ذلك فإنها لا تحقق الغرض من قيامها ، ولذلك أشير لترقية المسرحية المصرية أن تعمل وزارة المعارف على ترجمة نفائس الروايات المسرحية الغربية ترجمة أنموذجية وإذاعتها بين المتأدبين ، وذلك لإحياء ثقافة المسرح نحن في أشد الحاجة إليها بحكم أننا نفتقر إلى هذه الثقافة في الأدب العربي القديم والأدب العربي المستحدث .

الممثل : فن التمثيل عامة حديث في مصر ، دخيل في الأدب العربي ، لم نعرفه باللسان العربي إلا منذ ثمانين عاماً . جاء مصر فيما جاءها ضمن موجة الثقافة الغربية التي طلع علينا بها البحر الأبيض في النصف الأخير من القرن الماضي . ومنذ ذلك الحين ونحن نباشر فن التمثيل على طريقة ارتجالية ، وإن شئت قل بدائية ، أعني أنها لا تقوم على قاعدة ولا ترتكز على أساس . وفن التمثيل ، أي فن الأداء كسائر الفنون الشكلية مثل النحت والتصوير وغيرهما ، له قواعد وأصول يجرى تدريسهما في معاهد خاصة تخرج الممثلين الحاذقين بعد أن يكونوا قد أحسنوا تعرف هذه الأصول والقواعد . وإذا قلت إنه واجب على الممثل أن يتلقى أصول فنه في معهد ، فهذا لا يحجزني عن الاعتراف بأن هناك طبائع غنية بمواهبها ، خصبة بإحساساتها ، هي في غنى عن الصقل والتهذيب في

معهد أو مدرسة ، إلا أن الطبيعة ضنينة بخلق هذا النفر العزيز الذى يطلع على الدنيا وهو يحمل فى روحه الطبع القوى ، والذوق الصافى ، والحساسية اليقظة ، والصوت الجهير ، واللفظ الفصيح ، والإيقاع المحكم ؛ وهذه هى أهم المصادر التى يصدر عنها الممثل الحق

مثل هـذا من الشواذ — والشاذ لا قاعدة له — وعليه فإنشاء معهد للتمثيل هو الوسيلة الفعالة ذات الأثر فى تكوين نشء جديد من الممثلين يجمعون إلى فيض الموهبة الطبيعية ، حذق التعليم ، وصقل التهذيب ، وثقافة الفن

الأكثرية الغالبة من محترفى التمثيل فى مصر يقومون بعملهم على إيحاء الفطرة وهدى التجارب وما يستقر فى أذهانهم مما يشاهدونه من آثار الفن الغربى أو على الشاشة البيضاء

ومن هؤلاء طائفة احترفت فن التمثيل ، لا عن عقيدة وموهبة وإنما عن حاجة ، فهم عمال فن Artisans إذا خصتهم الطبيعة بشىء من الموهبة الصادقة فإن ضعف التحصيل العلمى ، وافتقار الثقافة الفنية ، يحملان هذا القدر من الموهبة لا يرفع صاحبه إلى الممثل الموهوب المفتن الذى يترجم بأدائه أعمال مؤلفين نبهاء ويسمو بفكره إلى حياة سامية مثل حياة شكسبير مثلاً أو موليير أو أبسن وغيرهم

أما عنصر الممثلات فأقل شأناً من عنصر الممثلين ولا سيما فى الناحية الثقافية والعلمية . ويؤلمنى أن أقرر أن بيننا ممثلات لا يحسن القراءة ، فإذا قرأن يتعثرن ، وإذا كتبن فليأتين بأغرب النقوش وأعجب الخطوط

بعد هذا أرى أنه لزاماً على المهتمين بترقية المسرح أن يعملوا على إنشاء معهد للتمثيل فى معناه الكامل . وفوق هذا أرى أن ترسل بعوث إلى الخارج من خريجى هذا المعهد ، لا أن ترسل بعوث من أفراد كل مؤهلاتهم صلة قرابة أو محسوبية

الجمهور : الجمهور فى مصر خليط عجيب ، فيهم من يعيش بعقلية القرون الوسطى أو ما قبله ، ومنهم من يعيش بعقلية عصر النهضة ، ومنهم من يعيش بعقلية عام ١٩٣٩ ولكل فريق منزع خاص وذوق خاص ، وهذا أمر لا نجده فى الجمهور الأوربى ، فمهمة إرضاء هذه الجماهير عن طريق المسرح صعبة وعسرة .

هناك نظريتان يأخذ بهما العاملون فى المسرح ، الأولى الارتقاء بالجمهور إلى آفاق الأدب الرفيع ، والثانية مجاراة الجمهور فى مرغوبه ومما لأنه فيما يريد من تملق عواطفه . حاول بعض أصحاب الفرق الأهلية أن يأخذوا بالنظرية الأولى فلم يوفقوا إلى الكسب الوافر فانحدروا إلى الجمهور ، كما أخذ البعض الآخر فى بدء اشتغاله فى المسرح بالنظرية الثانية وما زال أرجوحة بين الفشل والنجاح

وسبب ذلك فيما أرى اختلاف المستوى العلمى والفكرى ، والجمهور المصرى حديث العهد فى المسرح ليست له فيه ثقافة أو تقاليد ، يؤم دوره بغية التسلية لا ارتجاء الغذاء الفكرى أو العاطفى . فواجب مصلح المسرح أن يعمل تدريجياً على إيجاد جمهور يحس التمثيل ويتذوقه .

* * *

— هـل قامت الفرقة القومية بواجبها فى إيجاد الجمهور والرواية والممثل ؟

— الفرقة القوميـة ما برحت تتطوح وتتهادى فى عملها ، ولم تستقم لها بعد طريقة خاصة أو سياسة مقصودة وذلك بحكم أنها مؤسسة جديدة تقوم بمهمة إذاعة فن جديد فى مصر ، ولا أدرى ما الذى يمنعها من أن تستخلص لها خطة بعد التجاريب التى أفادتها فى السنوات الأربع التى مضت على تأسيسها .

المال لا يعجزها ، ومعينها فى عطف وزارة المعارف واسع المدى ، فهى بذلك تعمل فى ظروف جيدة لم يسبق لفرقة مصرية أن عملت فيها .

فمن حيث فن التمثيل لم تقدم الفرقة جديداً ، لأن المشتغلين فيها عملوا على المسرح سنوات عديدة ، والبعوث التى بعثت بها إلى الخارج لم تعد بعد . فلا ندرى ماعسى أن تلقاه فى هذه الناحية من توفيق ونجاح . وشأن فن الإخراج كشأن فن التمثيل

ومن حيث الرواية فإنها لم تقدم كاتباً يأبه له ، وعملها فى المسرحيات المترجمة يطغى على حرصها على تنشيط المؤلفين المصريين وتشجيعهم . وهنا موضع العجب ، ففى الوقت الذى يقول فيه أحد أعضاء لجنة قراءة الروايات : « إن الفكر الروائى المسرحى آخذ فى التقدم إلى الكمال ، بل إلى الكمال السريع » نرى أن نتاج هذا الفكر ضئيل يتنافى مع ما يقرره أعضاء اللجنة فلا ندرى هل اللجنة أخطأت فى تقديرها ؟ أم إن مدير الفرقة لا يؤمن بما تؤمن به اللجنة ، وأنه لا يحب الرواية المصرية لوجه الشيطان... ؟

أما من حيث الجمهور فقد أخفقت الفرقة إخفاقاً تاماً فى اجتذاب أى طبقة من طبقات الجمهور فى مصر ، ولو اقتصر معينها المادى على إيرادها من جيوب الجمهور لما استطاعت أن تصمد شهراً واحداً

ابن عساكر